إياس بن معاوية القاضي

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[9]

إياس بن معاوية
القاضي

# إياس بن معاوية القاضي

**هو:** إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رئاب بن عبيد بن سارية ابن ذبيان بن ثعلبة بن سليم بن أوس بن مزينة.

**يكنى:** أبا واثلة.

وكان إياس بن معاوي ة قاضيًا فقيهًا قائفًا - القفو: أي يتبع الأثر: { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ } [سورة الإسراء الآية: ٣٦]، أي: لا تتبع ما لا تعلم، ولا تقل سمعت ولم تسمع - يزكن - زكن الخبر زكنًا، أي: علمه، **والزكن:** التفرس والظن، **والأزكان:** الفطنة والحدس الصادق - فلا يخطئ.

يُعرت ب" **إياس الذكي** "، فقد كان غزير العقل والدين.

**كان يُضرب المثل بذكائه.**

وهو **تابعي**، ولجده - قرة - **صحبة** - أي: صحب وجلس وشاهد النبي الخاتم ﷺ.

وكان إياس بن معاوية قاضي البصرة.

أخرجه الساعة من دمشق لا يفسد عليّ الناس:

تألق ذكاء إياس بن معاوية منذ كان صبيًا، فقد تحكم إياس وهو صبي شاب إلى قاضي أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان بدمشق.

فقال له القاضي:

- إنه شيخ وأنت شراب فلا تساوه في الكلام.

فقال إياس بن معاوية:

**- إن كان كبيرًا فالحقُّ أكبر منه.**

فقال له القاضي:

- اسكت.

فقال إياس بن معاوية:

**- ومن يتكلم بحقي إذا سكت؟**

فقال القاضي:

- ما أحسبك تنطق بحق في مجلس هذا حتى تقوم.

فقال إياس بن معاوية:

- أشهد أن لا إله إلا الله.

فقال القاضي:

- ما أظنك إلا ظالمًا له - الشريخ -.

فقال إياس بن معاوية بن قرة المزني:

**- ما على ظن القاضي خرجت من منزلي.**

فقام القاضي فدخل على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فلخبره خبر إياس بن معاوبة، فقال أمير المؤمنين عبد الملك:

**- اقض حاجته وأخرجه الساعة من دمشق لا يفسد عليَّ الناس.**

طست من نحاس:

قال إياس بن معاوية لأمه:

- ما شيء سمعتيه وأنت حامل بي وله جلبة شديدة؟

قالت الأم:

- ذاك طست من نحاس سقط من فوق الدار إلى أسفل ففزعت فوضعتك تلك الساعة.

وكان إياس بن معاوية يقول:

أذكر الليلة التي ولدت فيها وضعت أمي على رأسي جفنة.

ما أنت بشيطان:

يقول إياس بن معاوية:

كنت في الكتَّاب وأنا صبيّ، فجعل النصارى يضحكون من المسلمين ويقولون: **إنهم يزعمون أنه لا فضلة لطعام أهل الجنة** - يصير رشحًا كالمسك -.

فقلت للفقيه وكان نصرانيًا:

**- ألست تزعم أن من الطعام ما ينصرف في غذاء البدن؟**

قال المعلم:

- بلى.

قلت:

**- فما تنكر أن يجعل الله طعام أهل الجنة كله غذاء لأبدانهم؟**

فقال لي الفقيه:

- ما أنت إلا شيطان.

قاضي البصرة:

**لما ولى حفيد الفاروق عمر بن عبد العزيز أمر المسلمين وأراد أن يختار قاضيًا للبصرة يقيم بين الناس موازين العدل ويقضي بينهم بما أنزل الله ولا تأخذه في الحق رهبة ولا رغبة وقع اختياره على رجلين اثنين كانا كفرسي رهان: فقهًا في الدين وصلابة في الحق ووضاءة في الفكر، وحدة في النظر.**

فبعث الخليفة العادل إلى عدي بن أرطأة وأمره أن يجمع بين إياس بن معاوية والقاسم ابن ربيعة الجوشني فأيهما كان أفقه فليوله قضاء البصرة.

فلما اجتمعوا، قال عدى بن أرطأة:

إن أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - أمرن ي أن أولي أحدكما قضاء البصرة، فماذا تريان؟ **وكان كل منهما لا يريد هذا المنصب** ، فقال إياس والقاسم عن صاحبه:

- إنه أولى منه بهذا المنصب.

**وراح كل منهما يعدد فضائل وعلم وفقه صاحبه.**

فقال عدى بن أرطأة:

لن تخرجا من هذا المجلس **حتى يتولى أحدكما قضاء البصرة.**

فقال إياس بن معاوية وهو لا يريد أن يتولى القضاء:

أيها الأمير: سل فقيهي البصرة: الحسن وابن سيرين، فمن أ شار عليك بتوليته فوله.

وكان إياس بن معاوية لا يأتيهما، وكان القاسم بن ربيع ة يأتي الحسن البصري ومحمد ابن سيرين.

فقال القاسم بن ربيعة:

**- أيها الأمير: لا تسألهما عنا فوالله الذي لا إله إلا هو، إن إياسًا لأفضل مني وأفقه وأعلم بالقضاء، فإن كنت عندك ممن تصدق فإنه ينبغي لك أن تقبل قولي، وإن كنت كذابًا فما يحل لك أن تولين.**

فقال إياس بن معاوية:

- أيها ا لأمير: إنك جئت برجل فـأقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار بيمين كاذبة، لا يلبث أن يستغفر الله منها وينجو بنفسه مما يخاف.

فقال والي العراق:

- إن من يفهم مثل فهمك هذا لجدير بالقضاء، حرى - أهل له - به.

**ثم ولاه قضاء البصرة.**

فمن هذا الذي اختاره الخليفة العادل عمر بن العزيز قاضيًا له على البصرة؟

ومن ذلك الذي ضرب بذكائه وبفطنته و بديهته - البديهه: سرعة الفهم - الأمثال كما ضربت الأمثال بكرم وجود حاتم الطائي، وحلم الأحنف بن قيس، وإقدام عمرو بن معدي كرب الزبيدي؟

لقد قال أبو تمام في مدح أحمد بن المعتصم:

**إقدام عمر و في سماحة حاتم ⁝ في حلم أحنف في ذكاء إياس**

طفولة إياس بن معاوية:

لإياس بن معاوية سيرة مثير ة فذَّة - فريد ة ونا درة - من روائع السير.

ولد إياس بن معاوية سنة ست وأربعين من الهجرة في اليمامة في نجد، ورحل مع أسرته إلى البصرة وفيها نشأ وتعلم، ثم تردد على دمشق وهو في أوائل الصبا، وأخذ عمن أدركه من بقايا الصحاب ة؛ كخادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك وأكابر التابعين.

وقد ظهرت على إياس بن معاوية علائم الذكاء والنجابة منذ مولده.

**وكانت أمارا ت ذكائه مثارً ا لإعجاب الناس فتناقلوا أخباره ونوادره وهو ما زال صبيًا صغيرًا.**

قابلك الله من فتى:

كان إياس بن معاوية يتعلم الحساب في أحد الكتاتيب - مفرد: كتاب - لرجل يهودي، وقد اجتمع عند المعلم أصحابه من اليهود، وجعلوا يتكلمون في أمور الدين، وكان إياس ابن معاوية ينصت إليهم من حيث لا يشعرون.

قال المعلم لأصحابه:

- ألا تعجبون لهؤلاء المسلمين الذين يزعمون أنهم يأكلون في الجنة ولا يتغوطون - لا يقضون حاجتهم أي: لا يتبرزون ولا يتبولون -؟

فرفع إياس بن معاوية سبابته وقال في أدب:

- أتأذن لي يا معلم بالكلام فيما تخوضون - تتناقشون فيه وتتبادلون فيه الآراء - فيه؟

فقال المعلم:

- تكلَّم.

قال إياس بن معاوية:

- أَكُلُّ من يأكل في الدنيا يخرج غائطًا

قال المعلم:

- لا.

قال إياس بن معاوية المزني:

- فأين يذهب الذي لا يخرج؟

قال المعلم:

- يذهب في غذاء الجسم.

فتساءل إياس بن معاوية:

**- فما وجه الاستنكار منكم إذا كان يذهب بعض ما نأكله في الدنيا غذاء، أن يذهب كله في الجنة في الغذاء؟!**

فجز المعلم اليهودي على أنيابه وهز رأسه وقال:

- قاتلك الله من فتى.

ورب الكعبة حق:

كان إياس بن معاوية غلامًا عندما اختلف مع شيخ من أهل دمشق في حق من الحقوق، ولما يئس من إقناعه بالحجة، دعاه إلى القضاء.

فلما صارا بين يدي القاضي، احتدَّ إياس بن معاوية ورفع صوته على الشيخ فقال له القاضي:

- اخفض صوتك يا غلام، فإن خصمك شيخ كبير.

- فقال إياس بن معاوية:

**- ولكن الحق أكبر منه.**

فزجره القاضي وقال:

- اسكت.

فتساءل الغلام:

**- ومن ينطق بحجتي ويطالب بحقي إذا سكت؟**

فازداد غضب القاضي وقال:

- ما أراك منذ دخلت مجلس القضاء إلا باطلاً.

فقال إياس بن معاوية:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحق هذا أم باطلٌ؟

فقال القاضي وهو يتنهَّد:

**- حق... ورب الكعبة حق.**

تقدم يا فتى:

زار عبد الملك بن مروان البصرة - قبل أن يصبح أمير المؤمنين - فرأى إياس بن معاوية وهو شاب يافع لم يظهر شعر شاربه بعد، ورأى خلفه أربعة من القرّاء من ذوي اللحى، في طيالستهم - الطيلسان: كساء أخضر يلبسه الشيخ، والجمع: طيالسة - الخضراء.

فقال عبد الملك بن مروان:

- أف لأصحاب هذه اللحى، أما فيهم شيخ يتقدمهم؟

فقدموا هذا الغلام.

ثم التفت إلى إياس بن معاوية وتساءل:

- كم سنك يا فتى؟

قال إياس بن معاوية:

- سنى أطال الله بقاء الأمير كسن أسامة بن زيد - كان أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي في الثامنة عشر من عمره عندما جعله خاتم النبيين ﷺ أميرًا على سرية كان فيها كبار الصحابة - حين ولاه رسول الله ﷺ جيشًا فيه أبو بكر وعمر.

فقال عبد الملك بن مروان:

**- تقدَّم يا فتى... تقدَّم، بارك الله فيك.**

هلال رمضان:

خرج الناس يلتمسون هلال شهر رمضان وعلى رأسهم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ **وقد قارب المائة.**

وتبصّر الناس هلال شهر رمضان **فلم يروا شيئًا.**

ولكن أنس جعل يشير ويقول:

- قد رأيت هو ذاك.

وجعل خادم رسول الله ﷺ يشير بيده، **ولكن أحدًا لم يره.**

ونظر إياس بن معاوية إلى أنس بن مالك **فرأى شعرة طويلة بيضاء قد انثنت قبالة عينيه** فاستأذنه في أدب ومد يده إلى الشعرة فمسحها وسواها ثم قال:

- يا أبا حمزة: أترى الهلال أيضًا؟

فجعل أبو حمزة ينظر ويقول:

- ما أراه.

والله إنك لخائن:

منذ أن ولى أبو وائلة القضاء، ظهرت سعة حيلته وفرط ذكائه وقدرته الفذة في الكشف عن الحقائق.

دخل عليه رجلان، ادَّعى أحدهما أنه أودع لدى الآخر مالاً، فلما طلبه منه أنكره.

**فسأل إياس بن معاوية المدعي عليه عن أمر الوديعة فجحدها وقال:**

- إن كانت لصاحبي بيِّنة - دليل وحجة - فليأت بها، وإلا فليس له عليَّ **إلا اليمين.**

فقال للطالب:

- أين دفعت إليه المال؟

قال الطالب:

- بموضع كذا، ولم يحضرنا أحد.

قال أبو وائلة:

- فأي شيء كان في ذلك المكان؟

قال الطالب:

- شجرة.

فقال إياس بن معاوية للمدعي عليه:

- انطلق إلى هذا الموضع وانظر، فلعل الله أن يوضح لك هنا ك ما تبين لك بن أمرك.

فمضى الرجل.

وقال أبو وائلة للرجل الثاني:

- اجلس حتى يرجع خصمك.

وراح إياس بن معاوية يقضي بين الناس وهو يرقب الطالب من طرف خفى، حتى إذا **رآه ساكنًا مطمئنًا بادره قائلاً:**

- هل تعتقد أن صاحبك قد بلغ الشجرة التي أودعك عنها المال؟

فقال الرجل على الفور دون تفكر:

- **لا إنها بعيدة**

فقال إياس بن معاوية:

- يا عدو الله **إنك لخائن خائن**.

فقال الرجل:

- أقلني أقالك الله.

فأمر أن يحتفظ به حتى رجع خصمه فقال أبو وائلة:

- قد أقر لك بحقك فخده منه.

حلقت نصف لحيتك:

رأى إياس بن معاوية المزني يومًا رجلاً فقال له:

- قد حلقت نصف لحيتك.

قال الرجل:

- نعم.

ثم تناول الرجل:

- يا أبا وائلة: من أين عرفت ذلك؟

قال القاضي الذكي:

- باختلاف الشعر.

صدقت هو غزلها:

اختصمت إلى أبي وائلة امر أتان **في غزل**، كل واحد ة منهما تدَّعيه.

فأخذ إياس بن معاوية الغزل منهما وقال لإحداهما:

- كيف غزلك؟

قالت الأولى:

- بالفارسية.

وسأل الأخرى:

- كيف غزلك؟

قال المرأة الثانية:

- منكوس.

فنظر إياس بن معاوية إلى الغزل وقال:

- هو بالفارسية.

فقالت المرأة الثانية:

- صدقت هو غزلها **ولكنها رهنته عندي**.

واختصم إلى إياس بن معاوية امرأتان في **كبة غزل** فلخذها، وقال لإحداهما:

- على أي شيء كببتها؟

فقالت:

- **على جوزة.**

وسأل أبو واثلة الأخرى:

- على أي شيء كببتها؟

فقالت:

- **على خرقة.**

فأمر بنقض الكبة **فوجد الجوزة.**

**فدفع كبة الغزل إلى صاحبتها.**

عدة أهل الجنة، وعدة أهل النار:

سأل رجل أبا واثلة:

- يا أبا واثلة حتى متى يبقى الناس؟ وحتى متى يتوالد الناس ويموتون؟

فنظر إياس بن معاوية إلى جلسائه وقال:

- أجيبوه.

فقلبوا أيديهم وقالوا:

- ليس عندنا جواب.

فقال إياس الذكي:

- حتى تتكامل **العدتان:** عدة أهل الجنة، وعدة أهل النار.

إنها مجنونة:

خاصم رجل إلى أبي وائلة رجلاً في جارية.

وقال:

- **هي حمقاء.**

فقال إياس بن معاوية:

- لا أعلمه يرد من حمق.

قال الرجل:

- **إن حمقها كالجنون.**

- فسأل أبو وائلة الجارية:

- **أتنكرين يوم ولدت؟**

قالت الجارية:

- نعم.

قال إياس بن معاوية:

- **فأي رجليك أطول؟**

قالت الجارية وهي تشير نحو رجلها اليمنى:

- هذه.

قال أبو وائلة:

- **ردوها... فإنها مجنونة.**

ذات القميص الأحمر:

نظر خالد الحذاء يومًا إلى امرأة فأعجبته.

فقال لها:

- يا أمه الله: أفارغة أم مشغولة؟

قالت:

- بل فارغة.

فلتبعها خالد الحذاء، فلقيه رجل فسلم عليه وكلمه فغابت المرأة عن بصره فاغتم خالد الحذاء وم لأ الحزن صدره، فلقيه إياس بن معاوية فسأله:

- مالك؟

فلخبره خالد الحذاء خبر المرأة.

فقال أبو وائلة:

- انطلق بنا إلى الموضع الذي رأيتها فيه وامشس بين يدي فإذا انتهيت إلى الموضع الذي فقدتها فيه وغابت عن بصرك فقم بمقدار ما كلمك الرجل.

وقرأ إياس بن معاوية المقدار بلبيات قرأها.

ثم قال أبو واثلة لخالد الحذاء:

- امض بنا.

وأعاد إياس بن معاوية ما قرأ، فلما انتهى إلى آخره قال لخالد الحذاء:

- دخلت هذا الزقاق لا محالة.

ولم يكن للزقاق منفذ.

ودخل أبو وائلة الزقاق فوجد نسوة جلوسًا فسألهن:

- هل دخلت قبيل هذا الوقت امرأة عليها قمي ص أحمر وملحفة بيضاء؟

قلن:

- نعم امرأة لا بأس بها.

فتساءل إياس بن قرة:

- فلها زوج؟

قلن:

- لا.

فعاد أبو وائلة يتساءل:

- فمن وليها؟

قلن:

- فلان.

فلما سموه عرفه إياس بن معاوية فأرسل إليه، فزوجها من خالد الحذاء ودخل بها من يومه.

كان جدي أفضل من أبي:

تدارأ - تدارؤوا: تدافعوا في الخصومة - عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وخالد بن عرفطة الشكري.

فقال عتبه بن عمر:

- **من قبلنا كان أفضل**.

وقال خالد بن عرفطة:

- **الناس اليوم أفضل**.

فتراضيا بإياس بن معاوية حكمًا.

فقال أبو وائلة:

- أما أنا فقد أدركت أبي وجدي، وكان جدى أفضل من أبي، وأبي أفضل مني.

ولد له غلام:

ذات ضحى رأى إياس بن معاوية رجلاً يمشي متأبطًا شيئًا فقال:

- **معه سكر**، وقد ولد له غلام.

فأسرع جلساء أبى وائلة خلف الرجل فوجدوا معه سكرًا.

فعادوا إلى إياس بن معاوية وسألوه:

- كيف عرفت ذلك؟

قال أبو وائلة:

- **رأيت الذباب قد أطاف به**، فقلت: معه شيء حلو وهو يشربه أن يكون سكرًا، ورأيته نشيطًا فرحًا، فظننت أنه قد ولد له غلام.

هذا على رأس بئر:

كان أبو وائلة يومًا في برية ف أعوزهم الماء، فبحثوا عنه فلم يعثروا على قطرة ماء واشتد بهم الظمأ، وأيقنوا أنهم هلكى، وجلسوا ينتظرون الموت، وسمع إياس بن معاوية نباح كلب، فقال:

- هذا على رأس بئر.

فاستقروا النباح فوجدوا الكلب على رأس البئر كما قال إياس بن معاوية فقيل له:

كيف عرفت أن الكلب على رأس بئر يا أبا وائلة؟

قال إياس بن معاوية:

- **لأني سمعت الصوت كأنه يخرج من بئر**.

أخبرني عن عيوبي:

ذات يوم صحب إياس بن معاوية رجلاً في سفر، فلما أراد أن يفترقا قال الرجل:

- يا أبا وائلة: أخبرني عن عيوبي.

قال إياس بن معاوية:

- سل غيري.

فقال الرجل:

- لِمَ؟

قال أبو وائلة:

- فإني كنت أراك بعين الرضى.

يشير إلى قول القائل:

**وعين الرضى عن كل عيب كليلة :: ولكن عين السخط تبدى المساويا**

المرضع والبكر والثيب:

ذات يوم دخلت على إياس بن معاوية **ثلاث نسوة** فلما رأهن قال:

- أما إحداهن فمرضع، والأخرى بكر، والأخرى ثيب.

فقيل له:

- بِمَ علمت هذا؟

قال أبو وائلة:

- **أما المرضع:** فكلما قعدت أمسكت ثديها بيديها.

**وأما البكر:** فكلما دخلت لم تلتفت إلى أحد.

**وأما الثيب:** فكلما دخلت نظرت ورمت بعينها.

يا خبيث:

ذات ضحى التقى رجلان على أحدهما مطرف - المطرف من الثياب: ما جعل في طرفيه علمان - خز - صوف -، وعلى الآخر: كساء أنبجانى، فادعى صاحب الأنبجاني أن المطرف له و الأنبجاني لصاحب المطرف.

ولجأ إلى إياس بن معاوية قاض البصرة.

فدعا أبو وائلة بم شط وماء فبلّ رأس كل واحد منهما وقال لأحدهما:

- سرح رأسك؟

فسرح رأسه فخرج **في المشط غفو المطرف**.

وسرح الآخر رأسه، **فخرج في المشط عفر ا لانبجاني** فقال أبو وائلة له:

- يا خبيث الأنبجاني لك.

فلقر الرجل.

**فدفع إياس بن معاوية المطرف إلى صاحبه**.

النبيذ والماء والتمر:

سأل رجل أبا وائلة عن النبيذ فقال:

- هو حرام.

فقال الرجل:

- أخبرني عن الماء.

فقال إياس بن معاوية:

- حلال.

فقال الرجل:

- فالكسور.

قال أبو وائلة:

- حلال.

قال الرجل:

- فالتمر.

قال إياس بن معاوية:

- حلال.

فتساءل الرجل:

**- فما باله إذا اجتمع حرم؟**

قال أبو وائلة:

**- أرأيت لو رميتك بهذه الحفنة من التراب أتوجعك؟**

قال الرجل:

- لا.

فتساءل إياس بن معاوية:

**- فهذه الحفنة من التبن؟**

قال الرجل:

**- لا توجعني.**

قال إياس القاضي:

- فهذه الغُرْفَة من الماء؟

قال الرجل:

- لا توجعني شيئًا.

قال أبو وائلة:

- أفرأيت إن خلطت هذا بهذا وهذا بهذا **حتى صار طينًا** ثم تركته حتى استحجر - صار حجرًا - ثم رميتك به أيوجعك؟

قال الرجل:

- إي والله وتقتلني.

فقال إياس بن معاوية:

- **فكذلك تلك الأشياء لو اجتمعت.**

القاضي وابن شبرمة:

قدم أبو وائلة مدينة واسط يومًا، فجاءه ابن شبرمة بم سائل قد أعدها له فقال:

- أتأذن لي أن أسالك؟

قال إياس بن معاوية:

- سل وقد ارتبت حين استأذنت.

فسأل ابن شبرمة أبا وائل ة عن **سبعين مسألة** يجيبه فيها **ولم يختلفا إلا في أربع مسائل** رده إياس بن معاوية إلى قولهن ثم سأل أبو وائلة ابن شبرمة:

- أتقرأ القرآن؟

قال ابن شبرمة:

- نعم.

قال إياس بن معاوية:

- أتحفظ قوله تعالى: {ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا } [سورة المائدة الآية: ٣].

قال ابن شبرمة:

- نعم.

فعاد أبو وائلة يتساءل:

- وما قبلها وما بعدها؟

قال ابن شبرمة:

- نعم.

فقال إياس الذكي:

- **فهل أبقت هذه الآية لآل شبرمة رأيًا.**

وقال ابن سعد:

لما قدم إياس بن معاوية واسطًا جعلوا يقولون:

- قدم البصري، قدم البصري.

فأتاه ابن شبرمة بمسائل أعدها له، وجلس بين يديه وقال:

- أتأذن لي أن أسألك؟

- قال إياس بن معاوية:

- ما ارتبت بك حتى استأذنتني، إن كانت لا تعنت القائل ولا تؤذي الجليس فسل، فساله عن بضع وسبعين مسألة، فما اختلفا يومئذٍ إلا في ثلاث مسائل أو أربع رده فيها إياس بن معاوية إلى قوله ثم س أل ابن شبرمة:

- يا ابن شبرمة: هل قرأت القرآن؟

قال ابن شبرمة:

- نعم من أوله إلى آخره.

فتساءل إياس بن معاوية:

- فهل قرأت: {ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي } [سورة المائدة الآية: ٣].

قال ابن شبرمة:

- نعم وما قبلها وما بعدها.

فقال إياس بن معاوية:

- فهل وجدته بقى لآل شبرمة شيء ينظرون فيه؟

فقال ابن شبرمة:

- لا.

فقال إياس بن معاوية:

- إن للنسك فروعًا.

ذكر الصوم والصلاة والحج والجهاد.

ثم قال إياس:

- وإنى لا أعلمك تعلقت من النسك بش يء أحسن من شيء في يدك النظر في الرأي.

لم أعد بعدها:

ذكر سفيان بن حسين رجلاً بسوء عند أبي وائلة فنظر في وجهه وقال:

- أغزوت الروم؟

قال سفيان بن حسين:

- لا.

فتساءل إياس بن معاوية:

- فالسند؟

قال سفيان بن حسين:

- لا.

فقال إياس القاضي:

- فالهند؟

قال سفيان بن حسين:

- لا.

قال إياس الذكي:

- فا لترك؟

قال سفيان بن حسين:

- لا.

قال أبو واثلة:

**- أفسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم؟**

يقول سفيان بن حسين:

**- فلم أعد بعدها - لم أعد أغتب أحدًا -.**

إياس بن معاوية وغيلان القدري:

اكترى أبو وائلة بعيرًا من الشام قاصدًا الحج، **وركب** معه غيلان القدري، **ولا يعرف أحدهما صاحبه** ، وفي الطريق ظلا ثلاثًا لا يكلم أحدهما الآخر، فلما اقتربا من مدينة رسول الله ﷺ تحادثا فتعارفا، وتعجب كل واحد منهما من اجتماعه مع صاحبه لمباينة ما بينهما في الاعتقاد في القدر.

قال إياس بن معاوية:

هؤلاء أهل الجنة يقولون حين يدخلون الجنة: {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ} [سورة الأعراف الآية: ٤٣].

ويقول أهل النار: {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ} [سورة المؤمنون الآية: ١٠٦].

وتقول الملائكة: {سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ} [سورة البقرة الآية: ٣٢].

ثم ذكر أبو وائلة لغيلان القدري من أشعار العرب وأمثال العجم ما **فيه إثبات القدر.**

ثم اجتمع إياس الذكي وغيلان القدري مرة أخرى عند الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، فتناظر إياس وغيلان، فقهر أبو واثلة غيلان القدري، **وما زال يحصره في الكلام حتى اعترف غيلان بالعجز وأظهر التوبة.**

فدعا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على غيلان إن كان كاذبًا.

فاستجاب السميع البصير من حفيد عمر بن الخطاب، فلُمكن من غيلان القدري فقُتِل وصُلِب بعد ذلك ولله الحمد والمنة.

يا أبا واثلة ما عيبك؟

قال إياس بن معاوية:

- كل رجل لا يعرف عيبه فهو أحمق.

قالوا:

- يا أبا واثلة ما عيبك؟

قال إياس بن معاوية:

- كثرة الكلام.

قالوا:

- فيك أربع خصال: دمامة، وكثرة كلام، وإعجاب بنفسك، وتعجيل بالقضاء.

قال إياس القاضي:

- **أما الدمامة:** فالأمر فيها إلى غيري - لله الخالق البارئ المصور -.

**وأما كثرة الكلام:** فبصواب أتكلم أم بخطأ؟

قالوا:

- بصواب.

فقال أبو واثلة:

- كلما كثر الحق فهو خير - فالإكثار من الصواب أمثل -.

ثم قال إياس القاضي:

- **وأما إعجابي بنفسي** أفيعجبكم ما ترون مني؟

قالوا:

- نعم.

قال إياس بن معاوية:

- فإني أحق أن أعجب بنفسي.

ثم تساءل أبو واثلة:

- أما قولكم **إنك تعجل بالقضاء** فكم هذه؟

وأشار بيده خمسة:

فقالوا:

- **خمسة**.

فقال إياس الذكي:

- عجلتم ألا قلتم واحدًا واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة؟

قالوا:

- ما نعد شيئًا قد عرفناه.

قال أبو واثلة:

- **فما أحبس شيئًا قد تبين لي فيه الحكم**.

ولامه بعضهم في لباسه الثياب الغليظة، فقال:

- **إنَّما ألبس ثوبًا يخدمني ولا ألبس ثوبًا أخدمه.**

وقيل:

قال رجل لأبي واثلة:

- إنك لتعجب برأيك.

قال إياس بن معاوية:

- لولا ذلك لم أقض به.

وقال له آخر:

- إن فيك خصالاً لا تعجبني.

فتساءل إياس القاضي:

- وما هي؟

قال الرجل:

- تحكم قبل أن تفهم ولا تجالس كل أحد وتلبس من الثياب الغليظة.

فتساءل إياس من معاوية:

- أيهما أكثر: الثلاثة أو الاثنان؟

قال الرجل:

- الثلاثة.

فقال أبو وائلة:

- ما أسرع ما فهمت وأجبت.

فقال الرجل:

- أو يجهل هذا أحد؟

قال إياس القاضي:

وكذلك ما أحكم أنا به، وأما مجالستي لكل واحد فإن أجتمع بمن يعرفني أحب إليَّ من أن أجتمع بمن لا يعرفني، وأما الثياب الغلاظ فلفا ألبس منها ما يقيني لا ما أقيه أنا.

هذا فقيه كتاب:

ذات يوم جلس أصحاب إياس بن معاوية يكتبون عن الفراسة، فبينما هم حوله جلوس إذ نظر إلى رجل جاء فجلس على دكة حانوت - دكان - وجعل كلما مرَّ أحد ينظر إليه، ثم قام فنظر في وجه رجل ثم عاد.

فقال أبو وائلة:

- هذا فقيه كتاب قد أبق - هرب - له غلام أعور فهو يتطلبه.

فقاموا إلى ذلك الرجل فسألوه فوجدوه كما قال إياس بن معاوية.

فقالوا لإياس الذكي:

- من أين عرفت ذلك؟

قال إياس القاضي:

- لما جلس على دكة الحانوت، علمت أنه ذو ولاية، ثم نظرت فإذا هو لا يصلح إلا لفقهاء المكتب، ثم جعل ينظر إلى كل من يمر فعرفت أنه قد فقد غلامًا، ثم لما قام فنظر في وجه ذلك الرجل من الجانب الآخر، فعرفت أن غلامه أعور.

هو ابنها:

ذات ضحى سمع إياس بن معاوية صوت امرأة من بيتها فقال:

- هذه امرأة حامل بصبي.

فلما ولدت تلك المرأة ولدت صبيًا.

فسرك إياس الذكي:

- بم عرفت ذلك؟

قال أبو وائلة:

- سمعت صوتها ونفسها معه فعلمت أنها حا م ل، وفي صوتها ضحل - أي في صوتها نعومة ورقة - فعلمت أنه غلام.

ثم مر أبو وائلة يومًا ببعض المكاتب فإذا صبي هنالك فقال:

- إن كنت أدري شيئًا فهذا الصبي ابن تلك المرأة.

فإذا هو ابنها.

هذه دراهم ومالى دنانير:

استو دع رجل رج لاً كيسًا فيه دنانير، وغاب المو دع فطالت غيبته، ففتق المستودع الكيس من أسفل **وأخذ الدنانير** وصير مكانها في الكيس **دراهم** وخاطه والخاتم بحاله وقدم صاحب المال بعد خمس عشرة سنة فطلب ماله فدفع الم ستودع إليه الكيس بخاتمه، ولما فتح المودع الكيس لم يقبله وقال:

- هذه دراهم ومالى دنانير.

قال المستودع:

- هكذا كيسك بخاتمك.

فرافعه إلى الأمير فقال لأبي وائلة:

- انظر في أمر هذين.

فسأل إياس القاضي المودع:

- مذ كم سنة؟

قال المودع:

- مذ خمس عشرة سنة.

فقال المستودع:

- ما تقول؟

قال المستودع:

- أعطيته كيسًا بخاتمه.

ففضوا الخاتم ونظروا إلى الدراهم فوجدوا فيها دراهم ضربت بعد الوقت الذى أودع فيه كيسه بعشر سنين وخمس سنين وأقل وأكثر.

فقال إياس الذكي للمستودع:

- قد أقررت أن الكيس عندك مذ خمس عشرة سنة فاتق الله ولا تظلم الرجل.

فلقي بالدنانير فألزمه إياها.

إنَّما يعرف بالقلب:

رأى إياس بن معاوية سلم بن قتيبة بن مسلم وهو لا يعرفه ولم يكن رآه من قبل، فدنا منه وسأله:

- أأنت ابن قتيبة؟

قال سلم بن قتيبة:

- نعم.

قال أبو واثلة:

- عرفتك بشبهه عمك عمرو بن مسلم.

قال سلم بن قتيبة:

- رحمك الله عمى كان ضخم أمغر - الأمغر: الأحمر الشعر والجلد الذي في وجهه حمرة في بياض صاف - وأنا رجل آدم - أسود - نحيف.

قال إياس الذكي:

- ليس بعسر هذا إنَّما يعرف بالقلب.

لم يخطئ ظني:

وفد إياس بن معاوية ملكة فقال لأصحابه:

- هل لكم في سلم بن قتيبة؟ وهو إذ ذاك ببئر ميمون، هو الجالس في ظل راحلته.

فنظروا فإذا هو سلم بن قتيبة، فقال سلم لإياس بن معاوية:

- كيف علمت أنى سلم؟

قال أبو وائلة:

- حج إخوانك وألافك جميعًا وعرفت مذهبك، فعرفت أنك ستتبعهم، ورأيت بعيرًا من إبل الملوك عليه رجل من رجال القرى، فلو قعت ظني فلم أخطئ.

في هذا الموضع حيَّة:

دخل أبو وائلة منزل رجل فرأى موضعًا من الحائط أو الأرض فقال:

- في هذا الموضع حيَّة.

فوجد الأمر كما قال.

فسُئل عن ذلك فقال إياس بن معاوية:

- رأيت الحائط.

أو قال:

- الأرض.

يبسًا كله ورأيت هذا الموضع أقل يبسًا، فعلمت أن فيه شيئًا يتنفس.

الميت حى:

ذات يوم رأى إياس بن معاوية جنارة فقال:

- صاحبها لم يمت.

فوضعت الجنارة وعض إبهام الرجل فإذا هو حي.

فردوه.

فقلي لأبي وائلة:

- كيف علمت أنه حي؟

قال إياس الذكي:

**- رأيت أصابع قدميه منتصبة والميت لا تنتصب أصابع قدميه.**

وكان هذا الميت غريقًا.

هذا دجاجكم وهذه دجاج أهل القرية البعيدة:

**اختصم أهل قريتين في دجاج في قفص.**

فقال إياس الذكي لهم:

- خلوها.

فلما أطلقوا سراحها نظر إليها إياس بن معاوية ثم أشار بيده:

- هذا دجاجكم.

وأشار نحو أهل القرية البيعدة وقال:

- وهذا دجاجكم.

فقالوا:

- كيف علمت؟

قال أبو وائلة:

**- رأيت دجاج هده ال قرية مط مئنة مسئنسة، ورأيت دجاج القرية البعيدة قد رفعت رؤوسها ومدت أعناقها نافرة.**

ورأى إياس بن معاوية ديكًا ينقر الحب ولا يقرقر فقال:

- هدا ديك هرم.

فقيل له:

- كيف عرفت؟

قال أبو وائلة:

- لأن الهرم إذا ألقى له الحب لم يقرقر والشاب ي قرقر ليجمع الدجاج إليه.

الرضخ من شرأنكم:

تزوج المهلب بن القاسم بن عبد الرحمن الهلالى أم شعيب بنت محمد الطاحى، وأمها عنكاء بنت أبي صفرة.

وكان المهلب بن القاسم ماجنًا فشرب يومًا وامرأته أم شعيب بين يديه - أمامه - فناولها القدح فلبت أم شعيب أن تشرب.

فقال المهلب بن القاسم:

- أنت طالق إن لم تشربيه.

وفي الدار ظبي داجن فعدا فكسر القدح.

**وجحد المهلب بن القاسم طلاق أم شعيب،** ولم يكن لها شهود إلا نساء.

فأوسلت أم شعيب إلى أهلها فحملوها، فاستعدى المهلب بن القاسم عدى بن أرطاة فردها عليه فخاصمت أم شعيب المهلب بن القاسم إلى إياس بن معاوية وهو قاضي لعمر ابن عبد العزيز، وشهد لها نساء

فقال أبو وائلة للمهلب بن القاسم:

**- لعن قربتها لأرجمنك.**

**فغضب عدى بن أرطأة على إياس بن معاوية.**

فقال عمر بن يزيد الأسدى - وكان عدوًا لإياس بن معاوية وذلك أنه قضى على ابنه بلوحاء كانت في يده لقوم - لأمير العراق -:

**- لم لا ننظر قومًا فيشهدون على إياس أنه قذف المهلب بن القاسم؟**

قال عدى بن أرطأة:

**- لو تم ذلك، لأقمت عليه الحد وعزلته وفضحته.**

فأتى بيزيد الرشك، وابن أبى رباط مولى بنى ضبيعة ليلاً، وأجمعوا على أن يرسل عدى بن أرطأة أمير العراق إلى إياس بن معاوية قاضي البصرة إذا أصبح فيشهدوا عليه.

وكان ربيعه بن القاسم الحوشبي حاضرًا فاستحلفه أمير العراق ألا يخبر إياسًا بما هم عليه، فحلف ربيعة بن القاسم.

وأتى ربيعة بن القاسم أبا وائلة وقال له:

- جئتك من عند عدى بن أرطاة فاحذر الناس.

ولم يذكر ربيعة بن القاسم لإياس شيئًا.

**فاستراب إياس الذكي الأمر وتواري ثم خرج إلى واسط.**

**واغتنم عدي بن أرطاة هذه الفرصة** فاستقضى الحسن البصري **وعزل إياس بن معاوية.**

وكتب أمير العراق إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز **يعيب إياسًا ويثني على الحسن،** وشنع على أبي واطئة وقال:

- إنه يقول: إذا كثرت أمطار السنة فهي وبيئة وما علمه بذلك؟

فكتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير العراق:

ما رأيت أحدًا من أهل زماننا الثناء عليه أح سن منه على إياس، وقد بلغني وصح عندي رضخ - الرضخ: خبر تسمعه ولا تستيقنه - من شأنكم.

وأقرَّ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الحسن البصري قاضيًا على البصرة وكان ذلك بعد أن قضى أبو وائلة سنة في قضاء البصرة.

لم أعرفك:

جلس إياس بن معاوية ذات يوم في جامع دمشق، فتكلَّم رجل من بني أمية، فرد عليه أبو وائلة، ف أغلظ له ا لأمو ي، فقام إياس بن معاوية.

فقيل للأموي:

- إن هذا إياس بن معاوية المزني.

فلما عاد إياس بن معاوية إلى الجامع من الغد، اعتذر إليه ا لأمو ي وقال له:

- لم أعرفك وقد جلست إلينا بثياب السوقة وكلمتنا بكلام الأشراف فلم نحتمل ذلك.

من أقوال إياس بن معاوية:

قال أبو وائلة:

* **إن من لا يعرف عيبه أحمق.**

* يولد كل مائة سنة رجل تام العقل.

**فكانوا يرون أن إياس بن معاوية منهم.**

* ما يسرني أن أكذب كذبة يطّلع عليها أبي معاوية.

* ما خاصمت أحدًا من أهل ا لأهواء بعقلي كله إلا القدرية - فئة من الخوارج تجحد وتنكر القدر - قلت لهم:

- أخبروني عن الظلم ما هو؟

قالوا:

- أخذ الإنسان ما ليس له.

قلت:

**- فإن الله له كل شيء.**

* لأن يكون في فعال الرجل فضل عن مقاله خير من أن يكون في مقاله فضل عن فعاله.

* **إن أشر ف خصال الرجل:** صدق اللسان، ومن عَدَمَ فضيل ة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه.

* إني لأكلم الناس بنصف عقلي، فإذا اختصم إليَّ اثنان جمعت لهما عقلي كله.

*** لما ماتت أمه بكى عليها فقيل له في ذلك فقال:**

**- كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة فغُلق أحدهما.**

* تكون غلة الرجل - دخل الرجل في الشهر أو في السن ة - ألفًا فيصلح أمره وتصلح غلته ألفين فيصلح أمره وتصلح غلته، وتكون غلته ألفين فينفق ثلاثة آلاف فيوشك أن يبيع العقار - أثاث بيته أو ما يملك - في فضل النفقة.

* قال رجل لاياس:

- أنا أعرف مثل ما تعرف.

فنظر إياس إلى صرع في الأرض فقال:

- ما هذا الصرع؟

قال الرجل:

- لا أعراف - لا أدري -.

قال أبو وائلة:

- فيه دابة.

فكان كما قال إياس بن معاوية فقال للرجل:

- يا ابن أخي: إن الأرض لا تنصدع إلا عن دابة أو نبات.

* ما يسرني أن أكذب كذبة يطلع عليها أبي معاوية لا أحاسب عليها يوم القيامة وأن لي الدنيا بحذافيرها.

* قال رجل لأبي وائلة:

- إنك لتعجب برأيك.

قاد إياس بن معاوية:

- لولا ذلك لم أقض به.

* لو صحبني رجل فقال:

اشترط على خلة واحدة - خصلة واحدة - لا تزيني عليها.

لقلت:

- لا تكذبني.

* ليس يولد من الحيوان شيء إلا ظاهر الأذنين.

قالوا عن إياس بن معاوية:

* قال محمد بن سيرين:

- إنه لفهم إنه لفهم.

* وقال محمد بن سعد والعجلي وابن معين والنسائي:

- ثقة.

وزاد ابن سعد:

وكان عاقلاً من الرجل فطنًا.

وزاد العجلي:

- وكان فقيهًا عفيفًا.

* وقال معاوية بن قرة:

- إن الناس يلدون أبناء **وولدت أنا أبا**.

ولما سئل معاوية بن قرة المزني عن ابنه إياس قال:

- نِعْمَ الابن كفاني أمر دنياي وفرغني لآخرتي.

* وقال شيخ من باهلة:

أتيت منزل ثابت البناني فإذا أنا برجل طويل الثوب، طويل الذراع، أحمر يلوث عمامته لوثًا قد غلب على المجلس فقلت:

- من هذا الرجل؟

فقال رجل:

- أبو وائلة.

فعرفت أنه إياس.

* لما ولى إياس بن معاوية القضاء بالبصرة، فرح بذلك العلماء فقال أيوب:

- لقد رموها بحجرها.

* وقالوا:

جلس إياس في المسجد واجتمع عليه الناس للخصومات، فلها قام حتى فصل سبعين قضية، حتى كان يشبه بشريح القاضي.

كان إياس إذا أشكل عليه شيء بعث إلى محمد بن سيرين فسأله.

إياس بن معاوية والقرآن العظيم:

قال أبو واطئة:

مثل الذين يقر ؤون القرآن **وهم لا يعلمون تفسيره** كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً **وليس عندهم مصباح** فتداخلتهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل **جاءهم بمصباح فقرؤوا في الكتاب.**

وكان إياس بن معاوية إذا قرأ: {ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ} [سورة الرعد الآية: ٢].

إنها مرفوعة بغير عمد ترونها.

وقال آخرون:

لها عمد ولكن لا نراها.

**العمد:** قدرته التي يمسك بها السم اوات والأرض، وهي غير مرئية لنا.

وسئل أبو واطئة عن قوله تعالى: {وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ} [سورة الأنعام الآية: ١٤١].

**الإسراف في النفقة:** التبذير.

**والمقصود:** زكاة الزروع.

يقول أبو واطئة:

- ما جاوزت به أمر الله فهو سرف وإسراف.

وكان إياس بن معاوية إذا قرأ قوله تعالى: {إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓـُٔ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ} [سورة التوبة الآية: ٣٧].

قال:

كان المشركون يحسبون السنة اثنى عشر شهرً ا أو خمسة عشر يومًا، فكان الحج في رمضان وفي ذى القعدة، وفي كل شهر من السنة بحكم استدارة الشهر بزيادة ال خمسة ع شرر يومًا، فحج أبو بكر سنة تسع في ذي القعدة بحكم الاستدارة، ولم يحج النبي ﷺ، فلما كان في العام المقبل وافق الحج ذا الحجة في العشر ووافق ذلك الأهلَّة.

وهذا القول أشبه بقول النبي ﷺ :

♂**إن الزمان قد استدار** ـــ - أي زمان الحج عاد إلى وقته الأصل ي الذي عينه الله يوم خلق السم اوات والأرض بلأصل المشروعية التي سبق بها علمه ونفذ بها حكمه.

ثم قال:

السنة اثنا عشر شهرً ا، ينفي بذلك الزيادة التي زادوها في السنة - وهي الخمسة عشر يومًا - بتحكمهم، فتعين الوقت ا لأصلي وبطل التحكم الجهلي.

إياس بن معاوية وأحاديث رسول الله ﷺ :

**روى** إياس بن معاوية بن قرة المز ني عن: جده مرفوعًا في الحياء عن أنس بن مالك، وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ونافع وأبي مجلز.

ودخل الحسن البصري يومًا على إياس بن معاوية فبكى، فسأله:

- ما يبكيك يا أبا وائلة؟

قال إياس بن معاوية:

- الحديث الذي جاء:♂**القضاء ثلاثة: اثنان في النار وواحد في الجنه: قاض تعمّ د الحق فلخطأ فهو في النار، وقاض تعمد الجور فهو في النار، وقاض تعمد الحق فلصاب فهو في الجنة**ـــ.

فقال الحسن البصري:

قال رسول الله ﷺ :

♂**إن الله تعالى مع القاضي ما لم يحف - الحيف: الجور والظلم - عمدًا ـــ** (رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن عبد الله بن مسعود).

وفلة إياس بن معاوية:

مات أبو وا ـطة سنة اثـنتين وعشرين و مائة، بعد أن عاش ستًا وسبعين سنة.

**رحم الله إياس بن معاوية القاضي الذكي، فقد كان نادر ة نوادر الزمان، وأُعجوبة من أعاجيب الدهر في الفراسة والفطنة والذكاء والبحث عن الحق.**

رحم الله أبا وائلة اللسن البليغ والألمعى المصيب، والمعدود مثلاً في الذكاء والفطنة، ورأس الفصاحة والرجاحة، فقد كان صادق الظن في الأمور مشهورًا بفرط الذكاء وبه ضُرِب المثل في الذكاء.

* * *